

الدعوة الى الإسلام

أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث السرايا من أصحابه إلى مختلف قبائل الأعراب المنتشرة في الجزيرة العربية للدعوة إلى الإسلام ولقد كانت هذه السرايا خلال العام السابع للهجرة، وفي هذه الفترة نفسها، بدأ النبي عليه الصلاة والسلام يبعث كتبا إلى مختلف ملوك ورؤساء العالم يدعوهم فيها إلى الإسلام ونبذ ما هم عليه من الأديان الباطلة.

وقد أرسل الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبا، فقيل: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما. فاتخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ خاتما من فضة نقشة ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب. فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع للهجرة، وكان كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم.

فكان أول رسول بعثه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فأخذ كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضعه على عينيه ونزل من سريره، فجلس على الأرض تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لأتيته.» .

وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم، فقرأه عليه، فقال هرقل لجمع من عظمائه وحاشيته: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم، قالت الروم: وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا النبي العربي. قالوا فحاصوا حيصة حمر الوحش، وتناجزوا ورفعوا الصليب. فلما رأى هرقل ذلك منهم يئس من إسلامهم وخاف على نفسه وملكه، فسكتهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت لأختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحب. فسجدوا له.

وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى، فقرأ عليه، ثم أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: مزق الله ملكه.

وبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحارث بن عمير الأزدي إلى عظيم بصرى، فقتله، قالوا ولم يقتل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول غيره .

وبعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسول وكتب أخرى كثيرة إلى كثير من الأمراء العرب المتفرقين في مختلف المناطق، فأسلم منهم الكثير، وعاند البعض منهم.

العبر والعظات:

هذه السرايا التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم منتشرة في القبائل، والكتب التي أرسلها إلى مختلف ملوك ورؤساء العالم، جزء من المظاهر التي تميز هذه المرحلة من الدعوة في حياته عليه الصلاة والسلام، عن المرحلة التي قبلها.

لقد كانت المرحلة التي تسير فيها الدعوة من بدء الهجرة إلى صلح الحديبية، مرحلة دفاعية كما قلنا، إلى جانب القيام بمهام الدعوة السلمية. فلم يحدث خلال تلك المرحلة أن بدأ النبي صلى الله عليه وسلم هجوما أو شن غزوة على فئة ما من الناس، ولم يحدث أن أرسل سرية إلى قبيلة ما ليدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا قاتلوهم عليه.

فلما أبرم صلح الحديبية بين المشركين من قريش والمسلمين في المدينة، واطمأنت أفئدة المسلمين واستراحوا من متاعب قريش ومناوشاتهم، تفرغ النبي صلى الله عليه وسلم للدخول في مرحلة جديدة إنها المرحلة التي بها أنجز رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة ربه، وهي المرحلة التي أصبحت - بعمله وقوله - حكما شرعيا باتفاق المسلمين في كل عصر إلى يوم القيامة.

ثم إن في قصة الكتب التي أرسلها صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء دلالات وأحكاما كثيرة نجملها فيما يلي:

أولا: أن الدعوة التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما بعث بها إلى الناس كافة، لا إلى قوم بأعيانهم، وأن رسالته إنما هي إنسانية شاملة ليس لها طابع عنصرية أو قومية أو جماعة معينة، ولذلك اتجه صلى الله عليه وسلم بدعوته يبلغها إلى كل حكام الأرض وملوكها.

ثانيا: يدلك موقف هرقل مع أتباعه على مدى التكبر على الحق والتعنت في الباطل عند كثير من أهل الكتاب، وهم الذين تحول الدين في تصورهم إلى تقاليد وعصبية، فلا ينظرون إليه من حيث إنه حق أو باطل بمقدار ما يتمسكون به من حيث إنه جزء من تقاليدهم ومظهر لعصبيتهم وشخصيتهم ولقد بدى موقف هرقل بادئ الأمر في مظهر المتدبر المقدر لحقائق الأمور، ولكن يبدو أنه كان يسوس بذلك رعيته وحاشيته ويجس نبضهم، ليطمئن إلى ما ينبغي أن يفعله حفظا على ملكه وسلطانه حيال هذا الأمر.

ثالثا: دلّ عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا على مشروعية اتخاذ الخاتم، وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم من فضة، كما دلّ على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه.

رابعا: ويدل أيضا عمله صلى الله عليه وسلم على أنه ينبغي على المسلمين أن يهيئوا للدعوة الإسلامية في كل أرجاء الأرض وسائلها وأسبابها. ومن أهم أسباب ذلك، المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام، وتعريفهم بمبادئه وأحكامه.